

بحث في زيارة القبور وأحكامها للشيخ يوسف بن صالح البرقاوي

مقدمة :

في بداية الدعوة الإسلامية نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور، والنهي عام للرجال والنساء، وذلك سداً للذريعة؛ لأن العرب كانت في الجاهلية تتسخط على أقدار الله عند المصيبة، وكانوا يقولون هجراً كقولهم يا خيبة الدهر؛ ولهذا منع الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه من زيارة القبور؛ لقربهم من الجاهلية، وخشية الفتنة بها، كما افتن بها أهل الكتابين من يهود ونصارى، وعظموا القبور حتى عبدت من دون الله .

ولما تمكن الإيمان في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم، واستقرت عقيدة التوحيد في نفوسهم، وتعلقت قلوبهم بالله وحده عبادة وتعظيماً لشرعه القويم وامثالاً لدينه الحنيف، أذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزيارة الشرعية للقبور، وخصّ بذلك الرجال دون النساء، كما وردت الأدلة الشرعية في منعهنّ من زيارة القبور كما سيأتي .

دليل النسخ :

- عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » رواه مسلم .
- عن عائشة رضي الله عنها : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في زيارة القبور » رواه ابن ماجه .
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكروا الموت » رواه مسلم .

علة المنع في بادئ الأمر :

جاء في (نزهة المتقين) قال الشارح : في الأحاديث المتقدمة جواز النسخ في الشريعة الإسلامية ، فقد حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم زيارة القبور أول الأمر ؛ لقرب عهد الناس بالجاهلية ، وما كان فيها من وثنية ، وما كانوا يفعلونه عند القبور من نياحة ، وغير ذلك مما حرمه الإسلام ، ثم نسخ التحريم بعد أن اتضحت عقيدة التوحيد ، ورسخت قواعد الإسلام ، واستبان أحكامه . وعلى المؤمن أن يذكر نفسه بالموت وأنه سيكون في عداد الموتى إن عاجلاً أو آجلاً . ومن المأثور عن عمر بن

زيارة القبور وأحكامها ————— للشيخ : يوسف بن صالح البرقاوي

الخطاب رضي الله عنه قوله : كفى بالموت واعظاً يا عمر^(١) .

عصر الصحابة متميز عن سائر العصور :

كان عصر الصحابة رضي الله عنهم متميزاً عن العصور التي خلفته فلم يعرف أهله البدع ولا الخرافات والضلالات؛ وذلك لصفاء عقيدتهم المستمدة من الكتاب العظيم والسنة المطهرة، فعهد الصحابة كان عهداً مثالياً في تطبيق الإسلام والالتزام بشرع الله القويم والتمسك بدينه الحنيف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والمقصود أن الصحابة رضوان الله عنهم لم يطمع الشيطان أن يضلهم كما أضل غيرهم من أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله، أو جهلوا السنة، أو رأوا وسمعوا أموراً من الخوارق، فظنوها أنها من جنس آيات الأنبياء (أي المعجزات) وكانت من أفعال الشياطين، كما أضل النصاري وأهل البدع بمثل ذلك . فهم يتبعون المتشابه ويدعون المحكم، وكذلك يتمسكون بالمتشابه من الحجج العقلية والحسية، فيسمع ويرى أموراً فيظن أنه رحماني وإنما هو شيطاني، فيتركون البين الحق الذي لا إجمال فيه . وكذلك لم يطمع الشيطان أن يتمثل في صورته ويغيث من استغاث به أو يحمل إليهم صوتاً يشبه صوته؛ لأن الذين رأوه علموا أن هذا شرك لا يحل . ولهذا أيضاً لم يطمع فيهم أن يقول أحد منهم

(١) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، ص ٤٢٥، ج ١ .

لأصحابه : إذا كانت لكم حاجة فتعالوا إلى قبري واستغيثوا بي لا في محياه ولا في مماته، كما جرى مثل هذا لكثير من المتأخرين . ولا طمع الشيطان أن يأتي أحدهم ويقول : أنا من رجال الغيب أو من الأوتاد الأربعة أو السبعة أو الأربعين . أو يقول : أنت منهم . إذ كان هذا عندهم من الباطل الذي لا حقيقة له . ولا طمع الشيطان أن يأتي أحدهم فيقول : أنا رسول الله أو يخاطبه عند القبر، كما وقع لكثير ممن بعدهم عند قبره وقبر غيره، وعند القبور كما يقع كثير من ذلك للمشركين وأهل الكتاب يرون بعد الموت من يعظمونه من رهبانهم»^(١).

زيارة القبور وأنواعها :

لما دخل الخلل في المسلمين بعد العصر الذهبي وهو عصر الصحابة والتابعين اختلط الحابل بالنابل وانعكست الموازين وتغيرت المفاهيم وتشابهت الأمور عند كثير من الناس؛ لجهلهم بعقيدتهم الصحيحة السليمة؛ لذا فقد اجتهد العلماء عبر القرون في بيان الحق من الباطل على ضوء الكتاب والسنة، فوضعوا ضوابط لتمييز المشروع من غير المشروع ومعرفة السنة من البدعة حتى لا يلتبس الأمر على الناس . فرأى العلماء - من خلال الواقع الذي يسير عليه العوام لما دخل النقص فيهم - أن زيارة القبور حسب ما يفعله الناس ويسرون عليه ثلاثة أنواع : زيارة شرعية،

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ص ٣٩٠، ٣٩١، ج ٢٧ .

زيارة القبور وأحكامها ————— للشيخ : يوسف بن صالح البرقاوي

وزيارة بدعية، وزيارة شركية .

قال الشيخ عبدالله بن بليهد - رئيس القضاة في زمانه - في الخطاب الذي ألقاه في الاجتماع الذي عقد بين علماء نجد وعلماء مكة المكرمة، قال رحمه الله : واعلموا أن زيارة القبور على ثلاثة أنواع : شرعية، وبدعية، وشركية . ثم عرفها وفصلها :

١ - الزيارة الشرعية :

هي التي القصد منها تذكّر الآخرة والدعاء للميت واتباع السنة .

٢ - الزيارة البدعية :

هي التي القصد منها عبادة الله عند القبور كما يفعله كثير من الناس ؛ لظنّهم أن للعبادة عندها مزية على العبادة في المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث النهي عن الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد .

٣ - الزيارة الشركية :

هي التي القصد منها تعظيم القبور ودعائها، أو الذبح لها، أو النذر لها، أو غير ذلك من العبادات التي لا تصلح إلا لله . فهذا حقيقة الشرك والأدلة عليه كثيرة جداً وقد تقدم بعضها؛ ولكن لغلبة الجهل وخفاء العلم وبعد العهد بإرشاد النبوة التبس الأمر على أكثر الناس وخفي عليهم ما هو في غاية الوضوح؛

لضعف البصائر وغلبة العوائد، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية » فإن من لم يعرف الشرك وما ذمه القرآن وعابه وقع فيه وهو لا يدري^(١) اهـ .

أقوال العلماء في المسألة :

قال الشيخ عبدالله بن محمد التميمي رحمه الله : والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بزيارة القبور؛ لأنها تذكر الآخرة، وأمر الزائر أن يدعو لأهل القبور ونهاه أن يقول هجراً، فهذه الزيارة التي أذن الله بها لأئمة وعلمه إياها، وهل تجد فيها شيئاً مما يعتمد عليه أهل الشرك والبدع، أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه ؟ وما أحسن ما قال الإمام مالك : لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك . . . إلى أن قال : وبالجملية فالميت قد انقطع عمله فهو محتاج إلى من يدعو له ؛ ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء ما لم يشرع مثله للحَي . ومقصود الصلاة على الميت الاستغفار له والدعاء له ، وكان صلى الله عليه وسلم يقف على القبر بعد الدفن فيقول : « سلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل » .

(١) رسالة البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد في عقائد التوحيد ص ١٣، ١٤، و ص ٣١، ٣٢ .

انعكاس الأمور :

قال الشيخ عبدالله المذكور : فبدّل أهل البدع والشرك قولاً غير الذي قيل لهم، فبدّلوا الدعاء له (للميت) بدعائه نفسه، والشفاعة له بالاستشفاع به، والزيارة التي شرعت إحساناً إلى الميت بالزيارة لسؤال الميت والإقسام به على الله، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو العبادة وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه في المسجد^(١).

الأمور المبتدعة عند القبور أنواع :

قال الشيخ عبدالله بن محمد التميمي : وهذه الأمور المبتدعة عند القبور أنواع :

النوع الأول : هو أبعداها عن الشرع : أن يسأل الميت حاجته كما يفعله كثير من المنتسبين إلى الإسلام اليوم وهؤلاء من عبّاد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت كما يتمثل لعباد الأصنام وهذا يحصل للمشركين وأهل الكتاب . وكذلك السجود للقبور وتقيله والتمسح به .

والنوع الثاني : أن يسأل الله بالميت وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة إجماعاً، أقول : وسؤال الله بالأموات كأن

(١) رسالة الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، ص ٣٩، ٤٠ والمؤلف من علماء القرن الثاني عشر الهجري .

يقول : أسألك اللهم بحق فلان أو بجاه فلان فهذا محظور .

والنوع الثالث : هو أن يظن أن الدعاء عنده أي القبر مستجاب، وأنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد القبر لذلك، وهذا أيضاً من المنكرات إجماعاً وما علمت فيها نزاعاً بين أئمة الدين، وإن كثيراً من المتأخرين يفعلوه .

وقال رحمه الله : وبالجمله فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأوثان، ولم يتخلص منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم، وعبادتها وجدت في الأرض من قبل نوح عليه السلام وهياكلها ووقوفها (الوقف) وسدنتها وحجابها والكتب المصنفة في عبادتها عمّت الأرض^(١).

كلام ابن تيمية في المسألة :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فالزيارة الشرعية المقصود بها السلام على الميت والدعاء له، كما يقصد بالصلاة على جنازته بعد موته من جنس الصلاة عليه، فالسنة أن يسلم على الميت، ويدعو له سواء كان نبياً أو غير نبي، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم » وهكذا يقول إذا زار أهل

(١) المصدر السابق، ص ٤٦، ٤٧ .

زيارة القبور وأحكامها ————— للشيخ : يوسف بن صالح البرقاوي

البقيع أو زار شهداء أحد أو غيرهم»^(١).

الحكمة من زيارة القبور :

تبين لنا من خلال أقوال الأئمة الأعلام أن زيارة القبور شرعت لأمرين اثنين، أحدهما : تذكير الزائر بالموت . والثاني : إحسان للميت بالدعاء له وسؤال الله بالرحمة والمغفرة .

الأمر الأول : تذكير الزائر بالموت والاعتبار والاتعاظ بحال الميت الذي فارق الدنيا وترك المال والأهل والولد، وأصبح أسير عمله تحت التراب لا يملك من أمره شيئاً . ولا شك أن من استعمل عقله وفكر بعمق وتذكر الموت وهو السفر الطويل الذي لا عودة بعده إلى الدنيا . استعد لهذا اليوم وأخذ بأسباب الرحيل وتزود لسفره البعيد بالعمل الصالح، فإنه سيدرك دار السعادة بإذن الله تعالى . قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾^(٢).

قال الشاعر :

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته

يوماً على آلة حديد محمول

فالنجاة بالتقوى ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَتَكَزُّوْهُ فَأَيُّ كَيْدِ الزَّادِ

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ص ١٤٨، ج ٢٦ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٥٧ .

الْتَقَوُيْ وَأَتَّقُونِ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾^(١) . وثمار التقوى هي الجنة؛ لقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ ﴿٦٣﴾^(٢) . وآثار التقوى هو العمل . قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾^(٣) . ولهذا كان من أهداف الزيارة للقبور للرجال تذكر الموت حتى لا يركن الإنسان إلى الدنيا وينسى الآخرة، والأحاديث صريحة في زيارة القبور للعبرة والاتعاظ بالموت ومن ذلك :

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات - الموت »^(٤) قال الصنعاني : والحديث دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يغفل عن ذكر أعظم المواعظ وهو الموت .

وقال : وفي رواية للديلمى عن أبي هريرة : « أكثروا ذكر الموت فما من عبد أكثر ذكره إلا أحيا الله قلبه وهون عليه الموت »^(٥) .

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة » رواه

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٧ .

(٢) سورة مريم، الآية ٦٣ .

(٣) سورة الزخرف، الآية ٧٢ .

(٤) رواه الترمذي، وصححه ابن حبان .

(٥) سبل السلام، ص ٨٨، ٨٩، ج ٢ .

ابن ماجه .

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهّد في الدنيا وتذكر الآخرة » رواه ابن ماجه .

الأمر الثاني : الإحسان للميت بالدعاء له والاستغفار له والترحّم عليه وسؤال الله له بالمغفرة ، والنبي صلى الله عليه وسلم زار القبور وسلم على أهلها ودعا لهم بالمغفرة ، وهذه هي الزيارة الشرعية حتى تتأسى به أمته وتتمسك بسنته وهديه .

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة وأقبل عليهم بوجهه فقال : « السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر » رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن .

- وعن بريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا للمقابر أن يقولوا : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية » رواه مسلم .

زيارة مقبرة البقيع ليلاً :

وقد ثبت في حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام ليلاً بعد أن اضطجع في فراشه وأمره أن يزور البقيع ويدعو لهم ففعل . وظنت عائشة أنه ذهب لبعض نسائه فقامت من فراشها وانطلقت

في أثره حتى جاء البقيع، فأقام وأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات يدعو لهم . والحديث طويل لا يتسع المقام لنقله ومما جاء في نهايته : قال : فإن جبريل عليه السلام أتاني حين رأيت فناداني فقال : إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم « قالت : (أي عائشة) قلت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : « السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أسأل الله لنا ولكم العافية » رواه مسلم^(١) .

رأي العلماء في زيارة القبور ليلاً :

من العلماء من يرى أن زيارة القبور ليلاً خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم وليست مشروعة للناس وذلك سداً للذريعة المفضية إلى مفساد حتى لا يكون مجال للشيطان في إضلال المسلمين ولربما تمثل الشيطان بصورة الميت المزمار أو قلّد صوته وطلب منه أن يذبح له أو يدعو ويستغيث به وهذا ما يفعله الشيطان بأوليائه من عبّاد القبور وقد حذر من ذلك علماء الإسلام .

قال ابن القيم : « قال شيخنا رحمه الله : وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب : أبعداها عن الشرع أن يسأل الزائر الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس ، قال :

(١) مختصر مسلم للمنذري، رقم ٤٩٧، ص ١٣٣ .

زيارة القبور وأحكامها ————— للشيخ : يوسف بن صالح البرقاوي

وهؤلاء من جنس عبّاد الأصنام ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت أو الغائب، كما يتمثل لعباد الأصنام وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب، يدعو أحدهم من يعظّمه فيتمثل له الشيطان أحياناً، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة وكذلك السجود للقبر والتمسح به وتقبيله^(١). كل ذلك من وحي الشيطان .

قوله : قال شيخنا هو شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم تلميذه كما هو معلوم .

أدلة تحريم اتخاذ القبور مساجد :

- عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت بعض نسائه كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية، وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنهما وتصاوير فيها، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال : « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » رواه البخاري .

- قال الشيخ عبدالعزيز بن باز : هذا هو الحق لعموم الأحاديث بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعن من فعل ذلك؛ ولأن بناء المساجد على القبور من أعظم وسائل الشرك

(١) إغاثة اللهفان، ص ٢٣٥، ٢٣٦، ج ١ .

بالمقبورين فيها»^(١).

- وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورهم أنبيائهم مساجد » قالت : ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . رواه البخاري^(٢).

- قال ابن حجر : قال الكرمانى : مفاد الحديث منع اتخاذ القبر مسجداً ، ومدلول الترجمة اتخاذ المسجد على القبر ومفهوما متغاير ، ويجاب بأنهما متلازمان وإن تغاير المفهوم^(٣).

الحج للقبور كفر صريح :

قال ابن قيم الجوزية : وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجاً ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً وسماه « مناسك حج المشاهد » مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام . ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام . ولا ريب أن في ذلك من المفساد ما يعجز العبد عن حصره ، ومن ذلك :

تعظيم الموقع في الافتتان بها - بالقبور - ومنها : اتخاذها عيداً والسفر إليها . ومنها : مشابهة عبادة الأصنام بما يفعل

(١) فتح الباري، ص ٢٠٨، ج ٣ .

(٢) فتح الباري، ص ٢٠٠، ج ٣ .

(٣) فتح الباري، ص ٢٠٨، ج ٣ .

زيارة القبور وأحكامها ————— للشيخ : يوسف بن صالح البرقاوي

عندها؛ من العكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها وسدانتها . وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد . والويل عندهم لقيمها ليلة يطفىء القنديل المعلق عليها . ومنها : النذر لها ولسدنتها . ومنها : اعتقاد المشركين بها أن بها يكشف البلاء، وينصر على الأعداء، ويستنزل غيث السماء، وتفرج الكروب، وتقضى الحوائج، ويجار الخائف إلى غير ذلك . ومنها : الدخول في لعنة الله تعالى ورسوله؛ باتخاذ المساجد عليها وإيقاد السرج عليها . ومنها : الشرك الأكبر الذي يفعل عندها . وأسهب ابن القيم في ذلك^(١) .

رأي أبي الوفاء بن عقيل في عباد القبور :

قال ابن القيم : ورأيت لأبي الوفاء في ذلك فصلاً حسناً فذكرته بلفظه قال : « لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، قال : وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع، من إيقاد النيران وتقييلها وتخليقها أي (بالطيب) وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع فيها : يا مولاي افعل لي كذا وكذا . وأخذ تربتها تبركاً، وإفاضة الطيب

(١) إغاثة اللهفان، ص ٢١٦، ج ١ .

على القبور وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداءً بمن عبد اللات والعزى، والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف ولم يتمسح بأجرة مسجد الملموسة يوم الأربعاء ... » . إلخ^(١).

أقول : ما أشار إليه هؤلاء الأئمة الأعلام مما وقع فيه المسلمون من فتنة القبور، وهذا واقع في كثير من بلاد المسلمين فقد شاهدنا ذلك على الواقع ولا ينكره إلا من جهله أو مكابر . والأمر أعظم من ذلك فقد عمّ الشرك في معظم بلاد المسلمين إلا من رحم الله نتيجة الجهل بعقيدة التوحيد وكثرة الدعاة المضللين للمسلمين، وقد بُنيت القباب على الأضرحة، وأقيمت المشاهد على القبور، ولها السدنة والخدام يضللون الناس بخرافاتهم وأكاذيبهم يستقبلون الأموال والندور، ويتقربون بالذبح لها والسجود على أعتابها والطواف بأحجارها، ويستغيثون برفاتها، ولها مواسم وأعياد في كل عام تقام فيها الاحتفالات والطقوس على المستوى الرسمي والشعبي، وهذا واقع الحال في كثير من البلدان، ولا يخفى على ذوي الأبصار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

حافظ إبراهيم يصف عبّاد القبور :

فقد وصف الشاعر حافظ إبراهيم شاعر وادي النيل عبّاد

(١) المصدر السابق، ص ٢١٣، ج ١ .

زيارة القبور وأحكامها ————— للشيخ : يوسف بن صالح البرقاوي

القبور في بلاد المسلمين وخاطب الشيخ محمد عبده رحمه الله وهو شيخ الأزهر في زمانه وقال :^(١)

إِمَامَ الْهُدَى إِنِّي أَرَى الْقَوْمَ أَبَدَعُوا
لَهُمْ بَدْعًا عَنْهَا الشَّرِيعَةُ تَعَزَّفُ
رَأَوْا فِي قُبُورِ الْمَيِّتِينَ حَيَاتَهُمْ
فَقَامُوا إِلَى تِلْكَ الْقُبُورِ وَطَوَّفُوا
وَبَاتُوا عَلَيْهَا جَائِمِينَ كَأَنَّهُمْ
عَلَى صَنَمٍ لِلْجَاهِلِيَّةِ عُكِّفُ
وقال :

أَحْيَاؤُنَا لَا يُرْزَقُونَ بِدَرَاهِمٍ
وَبِأَلْفِ أَلْفٍ تُرْزَقُ الْأَمْوَاتُ
مَنْ لِي بِحَظِّ النَّائِمِينَ بِحُفْرَةٍ
قَامَتْ عَلَى أَحْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ
يَسْعَى الْأَنَامُ لَهَا وَيَجْرِي حَوْلَهَا
بَحْرُ التُّذُورِ وَتُقْرَأُ الْآيَاتُ
وَيُقَالُ هَذَا الْقُطْبُ بَابُ الْمُصْطَفَى
وَوَسِيلَةُ تَقْضَى بِهَا الْحَاجَاتُ

(١) قرأها على الطلبة أستاذ التاريخ في معهد الدراسات العليا في القاهرة عام ١٩٧٤م وسمعها الحضور .

شد الرحال إلى القبور حرام شرعاً :

عن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » رواه البخاري ومسلم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فالسفر إلى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها والدعاء والذكر والاعتكاف من الأعمال الصالحة . وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم حتى إن مسجد قباء يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة ولا يشرع شد الرحال إليه . ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً » وكان ابن عمر يفعله، وفي لفظ مسلم : « فيصلّي ركعتين »^(١).

وقال ابن تيمية : « ولا يسافر أحد ليقف بغير عرفات، ولا يسافر للوقوف في المسجد الأقصى، ولا للوقوف عند قبر أحد لا من الأنبياء ولا المشايخ ولا غيرهم باتفاق المسلمين؛ بل أظهر قول العلماء : لا يسافر أحد لزيارة قبر من القبور .

وقال : ولكن تزار القبور الزيارة الشرعية ممن كان قريباً

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٤٣٠ .

(أي قريباً منها) ومن اجتاز بها «^(١) .

تخصيص السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين :

قال ابن تيمية : « وأما السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين فهذا لم يكن موجوداً في الإسلام في زمن الإمام مالك وإنما حدث هذا بعد القرون الثلاثة - قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم - » فأما هذه القرون التي أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن ظاهراً ولكن بعدها ظهر الإفك والشرك . وقال : « ولهذا لما سئل الإمام مالك عن رجل نذر أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فقال : إن كان أراد المسجد فليأته وليصل فيه ، وإن أراد القبر فلا ؛ للحديث المتقدم : « لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد »^(٢) .

وقال ابن تيمية : « والإمام مالك يستحب ما يستحبه سائر العلماء من السفر إلى المدينة والصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكذلك السلام عليه وعلى صاحبيه - أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما اتباعاً لابن عمر . وقال : ومالك من أعلم الناس بهذا ؛ لأنه قد رأى التابعين الذين رأوا الصحابة بالمدينة ولهذا كان يحب اتباع السلف في ذلك ويكره أن يبتدع أحد هناك بدعة »^(٣) .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ص ١٥٠، ج ٢٦ .

(٢) فتاوى ابن تيمية، ص ٣٨٦، ج ٢٧ .

(٣) المصدر السابق، ص ٣٨٤، ج ٢٧ .

أعظم مكاييد الشيطان لبني الإنسان :

قال ابن قيم الجوزية : ومن أعظم مكاييد الشيطان التي كاد بها أكثر الناس وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته : ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها من دون الله، وعُبدت قبورهم، واتخذت أوثاناً وبنيت عليها الهياكل، وصورت صور أربابها فيها، ثم جعلت تلك الصور أجساداً لها ظل، ثم جعلت أصناماً وعبدت مع الله تعالى، وكان أول هذا الداء العظيم في قوم نوح كما أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه حيث يقول : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۚ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۚ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۚ ﴾ (١).

قال ابن جرير الطبري : « وكان من خبر هؤلاء فيما بلغنا : أن يغوث ويعوق ونسراً كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم . فصوروهم فلما ماتوا وجاء من بعدهم آخرون دب إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم . قال سفيان عن أبيه عكرمة قال : كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام (٢) . »

(١) سورة نوح، الآيات ٢١ - ٢٣ .

(٢) إغاثة اللهفان، ص ٢٠١، ٢٠٢ ج ١ .

انتقال أصنام قوم نوح إلى بلاد العرب :

قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : « صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في بلاد العرب بعد؛ أما ودّ فكانت لكلب في دومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غُطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي القلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت »^(١).

وقد شرح الحديث ابن حجر في فتح الباري شرحاً وافياً ونسب الرجال الصالحين إلى آبائهم، وكذلك بيّن الوسيلة التي وصلت بها الأصنام إلى جزيرة العرب، والجان لهم دور في ذلك .

المحظور فعله عند القبور :

خلاصة القول في المسألة :

أولاً : البناء عليها وتجسيصها :

عن جابر رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه »

(١) رواه البخاري : فتح الباري، ص ٦٦٧، ج ٨ .

رواه مسلم .

وقد أمرنا بهدم ما بني عليها من مشاهد وقباب وأضرحة .
فعن أبي الهياج الأسدي قال : « قال لي علي بن أبي طالب رضي
الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته »
رواه أحمد ومسلم .

ثانياً : الجلوس على القبر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص
إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر » رواه مسلم وأبو داود
وابن ماجه .

قال الشوكاني : وذهب الجمهور إلى التحريم والمراد
بالجلوس القعود ، والحديث دليل على حرمة الجلوس على
القبر .

وعن عمرو بن حزم قال : رآني رسول الله صلى الله عليه
وسلم متكئاً على قبرٍ قال : « لا تؤذ صاحب هذا القبر أو لا
تؤذه »^(١) .

ثالثاً : الكتابة على القبر :

عن جابر رضي الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه

(١) رواه أحمد ، نيل الأوطار ، ص ٨٧ ، ج ٤ .

زيارة القبور وأحكامها ————— للشيخ : يوسف بن صالح البرقاوي

وسلم : « أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ » رواه أبو داود، والترمذي وصححه، والنسائي، وزاد : « وأن يزاد على القبر »^(١).

رابعاً : اتخاذ القبور مساجد :

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » رواه أحمد .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي لم يقم منه : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد - يحذر ما صنعوا » رواه البخاري ومسلم .

قال ابن حجر : وكأنه صلى الله عليه وسلم علم أنه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى فلعن اليهود والنصارى ؛ إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم . قوله : « يحذر ما صنعوا » جملة مستأنفة من كلام الراوي^(٢).

خامساً : الصلاة على القبور :

عن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها »

(١) نيل الأوطار، ص ٨٥، ج ٤ .

(٢) فتح الباري، ص ٥٣٢، ج ١ .

رواه مسلم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نهى أن يبنى على القبور أو يقعد عليها أو يصلى عليها » رواه أبو يعلى في مسنده بسند صحيح^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام » رواه الترمذي وله علة^(٢).

قال ابن تيمية : ولا تصح الصلاة في المقبرة ولا إليها والنهي عن ذلك لسد ذريعة الشرك .

وقال : قال أصحابنا : وكل ما دخل في اسم المقبرة مما حول القبور لا يصلى فيه ، فهذا ينبني على أن المنع يكون لتحريم الصلاة عند القبر المنفرد وفنائ المضاف إليه .

وذكر الآمدي وغيره : أنه لا تجوز الصلاة فيه أي في المسجد الذي قبلته إلى القبر حتى يكون بين الحائط وبين المقبرة حائل آخر وذكر بعضهم هذا منصوفاً عن أحمد بن حنبل^(٣).

(١) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص ٣١ . قال الهيثمي : رجاله ثقات .

(٢) قال الصنعاني في سبل السلام، ص ١٣٦، ج ١ : والخلاف في وصله وإرساله .

(٣) كتاب الاختيارات الفقهية لابن تيمية، ص ٤٤ .

سادساً : شد الرحال إليها :

تقدم الحديث عن هذا بعنوان مستقل ولا يمنع من ذكره في هذه الخلاصة :

عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا » رواه البخاري ومسلم .

وذكرت في هذا البحث تحت عنوان : « الحج للقبور كفر صريح » ما قاله ابن القيم في إغاثة اللهفان بأن هؤلاء الضلال المشركين شرعوا للقبور حجاً ووضعوا لها مناسك وسموه (مناسك حج المشاهد) وكفى بهذا كفراً وضلالاً وردة عن الإسلام .

قال ابن تيمية : وقد زين الشيطان لكثير من الناس سوء عملهم واستزلهم عن إخلاص الدين لربهم إلى أنواع من الشرك . فيقصدون بالسفر والزيارة رضى غير الله ، والرغبة إلى غيره ، ويشدون الرحال إما إلى قبر نبي أو عبد صالح ، داعين له راغبين إليه . ومنهم من يظن أن المقصود من الحج هو هذا فلا يستشعر إلا قصد المخلوق المقبور . ومنهم من يرى أن ذلك أنفع له من حج البيت . ومن شيوخهم من يقصد حج البيت فإذا وصل إلى المدينة رجع مكتفياً بزيارة القبر وظن أن هذا أبلغ^(١) .

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٤٥٧ .

سابعاً : تقديس المكان والبقعة :

فعباد القبور يقدسون المكان والبقعة عند الأضرحة والمشاهد، ويفضلونها على مشاعر المسلمين في الحج، ويتشوقون للسفر إليها لتعلق القلوب بها وحبهم لها كما يشتاق أهل التوحيد إلى زيارة البيت العتيق .

قال الشيخ عبدالله بن محمد التميمي رحمه الله تعالى :
وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب ما لا يجده أحدهم في بيوت الله التي ﴿ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ﴾^(١)، كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾^(٢)، وآخرون يحجون إلى القبور ويسافرون إلى قبور المشايخ وإن لم يسموا ذلك منسكاً وحجاً فالمعنى واحد . ومن هؤلاء من يقول :
وحقّ النبي الذي تحجّ إليه المطايا . . . وأسهب في الموضوع^(٣) .

ثامناً : اتخاذ القبور عيداً :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » رواه أبو داود

(١) سورة النور، الآية ٣٦ .

(٢) سورة الزمر، الآية ٤٥ .

(٣) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ص ٥٦ ، ٥٧ .

زيارة القبور وأحكامها ————— للشيخ : يوسف بن صالح البرقاوي
بإسناد حسن^(١).

وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما^(٢) : أنه رأى رجلاً
يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل
فيها ويدعو فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن
جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تتخذوا قبوري
عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم »
رواه في المختارة^(٣).

قال ابن القيم : إن في اتخاذ القبور أعياداً من المفساد
العظيمة التي لا يعلمها إلا الله تعالى ما يغضب لأجله كل من في
قلبه وقار لله تعالى، وغيرة على التوحيد، وتحذير وتقبيح
للشرك^(٤).

تاسعاً : تسريح القبور وإنارتها :

ويحرم تسريح القبور وإنارتها بالشموع وغيره؛ للنهي
الصريح في ذلك، ولما فيه من ضياع المال وإنفاقه في الحرام؛
إطاعة للشيطان .

(١) سنن أبي داود، ص ٤٧١، ج ١ .

(٢) علي بن الحسين : هو زين العابدين رضي الله عنه، أفضل التابعين . فتح
المجيد، ص ٢٦٣ .

(٣) المختارة : كتاب حديث للحافظ ضياء الدين الحنبلي، أحد الأعلام . فتح
المجيد، ص ٢٦٧ .

(٤) إغاثة اللفهان، ص ٢١٢، ج ١ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أبو داود والترمذي وابن حبان .

قال ابن القيم : قال أبو محمد المقدسي : ولو أبيح اتخاذ السرج على القبور لم يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من فعله . ولأن فيه تضييعاً للمال بدون فائدة، وإفراطاً في تعظيم القبور أشبه بتعظيم الأصنام^(١) .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ : قال محمد بن إسماعيل الصنعاني في كتاب (تطهير الاعتقاد) : فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، فقد شيد على القبور البناء وسرجت عليها الشموع وأرخت عليها الستور فيعتقد أن ذلك لجلب خير أو لدفع ضرر . وتأتي سدنة القبور ويكذبون على الميت بأنه فعل وفعل وأنزل بفلان الضرر وبفلان النفع . وأسهب في بيان أباطيلهم ودحض خرافاتهم^(٢) .

أقول : فهؤلاء السدنة الضلال وعباد القبور يضللون الناس بأكاذيبهم وافتراءاتهم بالقصص الملفقة، وهي من وحي الشيطان ونسج الخيال . والعوام يصدقونهم . ويسمعون لهم ويتمسحون بهم .

(١) إغاثة اللهفان، ص ٢١٥، ج ١ .

(٢) فتح المجيد، ص ٢٥٧ بتحقيق العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز .

عاشراً : الذبح عند القبور :

ويحرم الذبح عند القبور وهو من عادات الجاهلية، كما كانت تفعله عند قبور موتاهم فيذبحون من البقر والغنم . وجاء الإسلام وحرم الذبح لغير الله تعالى سواء كان الذبح للقبور أو للجان أو للمشايخ الذين يدعون الولاية والكرامة كذباً وزوراً، وكذلك الذبح بين يدي السلطان تعظيماً له، ويحرم أيضاً الذبح عند قدوم الحاج من مكة المكرمة فيذبح على باب داره عند قدومه ويمرّ على دم الذبيحة، وكذلك ذبيحة الونيسة عند الموت ويعتقدون أنها تؤنس الميت في قبره إلى غير ذلك من الذبائح المحرمة، وكل ذبح لتعظيم غير الله أو الخوف من مخلوق أو لجلب خير أو دفع ضرر كما يفعله عباد القبور فهو شرك أكبر فاعله مرتد عن الإسلام وذبيحته ميتة لا تؤكل . ولا زالت رواسب الجاهلية ومخلفاتها في نفوس الكثير من الناس؛ لفرط جهلهم بالملّة الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام . وفي الحديث عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا عقر في الإسلام » رواه أحمد وأبو داود، وقال عبدالرزاق : « كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة في الجاهلية »^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ولأن الذبح لغير الله أو باسم غيره قد علمنا يقيناً أنه ليس من دين الأنبياء عليهم السلام،

(١) نيل الأوطار، ص ٩٧، ج ٤ .

فهو من الشرك الذي أحدثوه»^(١).

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۖ ﴾^(٢).

قال ابن كثير في تفسيره : يأمره الله تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، أي أخلص له صلاتك وذبحك فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم^(٣).

وفي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات قال : « لعن الله من ذبح لغير الله . ولعن الله من لعن والديه . ولعن الله من أوى محدثاً . ولعن الله من غير منار الأرض » رواه مسلم^(٤).

الحادي عشر : دعاء الأموات والاستغاثة بهم :

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۖ ﴾^(٥)، فالعبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال التي لا تصلح إلا لله؛ كالدعاء والنذر والاستغاثة والذبح

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٢٥٦ .

(٢) سورة الأنعام، الآيتان ١٦٢، ١٦٣ .

(٣) مختصر ابن كثير للصابوني، ص ٦٣٩، ٦٤٠، ج ١ .

(٤) مختصر مسلم للمنذري رقم ١٢٦١، ص ٣٤١ .

(٥) سورة الذاريات، الآية ٥٦ .

والرجاء والتوكل إلى غير ذلك مما شرعه الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ^(١) .

وقد حذر القرآن الكريم من دعاء غير الله والاستغاثة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفِئِمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ ^(٣) .

أقوال الأئمة في ذلك :

قال ابن القيم : فمن مفسد اتخاذ القبور أعياداً : الصلاة إليها والطواف بها، وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية، وقضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللفهان وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عبّاد الأوثان يسألونها أوثانهم ^(٤) .

قال ابن تيمية : ومن جهلهم من يتوهم أن زيارة القبور واجبة . وأكثرهم يسأل الميت المقبور كما يسأل الحي الذي لا يموت فيقول : يا سيدي فلان اغفر لي وارحمي، وتب عليّ، أو

(١) سورة غافر، الآية ٦٠ .

(٢) سورة الأحقاف، الآية ٥ .

(٣) سورة الجن، الآية ١٨ .

(٤) إغاثة اللفهان، ص ٣١٢، ج ١ .

يقول : اقض عني الدين وانصرني على فلان، وأنا في حبك وجوارك^(١).

وقال ابن تيمية : ومن أعظم الشرك أن يستغيث الإنسان بميت أو غائب، ويستغيث به عند المصائب، يقول : يا سيدي . كأنه يطلب منه إزالة ضرره أو جلب نفعه، وهذا حال النصارى في المسيح وأمه وأحبارهم ورهبانهم . . . إلى أن قال : وهؤلاء المشركون يضمون إلى الشرك الكذب، فإن الكذب مقرون بالشرك، وقد قال تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۚ خُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۗ ﴾^(٢) ^(٣).

الثاني عشر : الغلو في الصالحين ذريعة الشرك :

قال تعالى : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكَتَبِ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ ﴾^(٤).

قال القرطبي : الغلو : هو التجاوز في الحد، ومنه غلا السعر يغلو غلاءً، وغلا الرجل في الأمر غلواً . ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون : غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه إلهاً .

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٤٥٨ .

(٢) سورة الحج، الآيتان ٣٠، ٣١ .

(٣) مجموع الفتاوى، ص ٨١، ج ٢٧ .

(٤) سورة النساء، الآية ١٧١ .

زيارة القبور وأحكامها ————— للشيخ : يوسف بن صالح البرقاوي

وقال : فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر؛ ولذلك قال
مطرف بن عبدالله : الحسنه بين سيئتين .

وقال الشاعر :

ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصدْ
كلا طرفي قصدِ الأمور ذميمٌ

وقال آخر :

عليك بأوساط الأمور فإنها
نجاه ولا تركب ذلولاً ولا صعباً^(١)

قال ابن القيم : فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه،
وخير الناس النمط الأوسط الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين
ولم يلحقوا بغلو المعتدين، وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه
الأمة وسطاً، وهي الخيار العدول؛ لتوسطها بين الطرفين
المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط،
والآفات إنما تتطرق إلى الأطراف، والأوساط محمية بأطرافها،
فخيار الأمور أوساطها^(٢).

قال محمد بن سلطان الحنفي : « وإن من أعظم مكاييد
الشيطان على بني آدم قديماً وحديثاً إدخال الشرك فيهم في قالب
تعظيم الصالحين وتوقيرهم بتغيير اسمه بالتوسل والتشفع ونحوه،

(١) تفسير القرطبي، ص ٢١، ج ٦ .

(٢) إغاثة اللهفان، ص ٢٠١، ج ١ .

فالمشرك مشرك شاء أم أبى . والزنا زنا وإن سماه جماعاً .
والخمر خمر وإن سماه شراباً»^(١) .

الثالث عشر : الحج للقبور والمشاهد :

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾^(٣) .

فالحج شعيرة من شعائر الله فرضها الله على عباده الموحدين ، وهو ركن من أركان الإسلام الخمسة ، فمن ابتغى حجاً وطوافاً وتعظيماً وتقديساً لغير بيت الله الحرام فهو مشرك كافر خارج من الملة المحمدية . فالطواف بالقبور والأضرحة وتقديس المشاهد والمزارات ، والحج إلى مدينة قاديان كما يفعل القاديانية كفر صريح .

قال ابن القيم : وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجاً ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك ، سماه « مناسك حج المشاهد » - كما تقدم - مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام ، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين

(١) رسالة في حكم الطالب من الميت المدد، ص ٤٨ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ٩٧ .

(٣) سورة الحج، الآية ٢٦ .

زيارة القبور وأحكامها ————— للشيخ : يوسف بن صالح البرقاوي

الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام^(١). وذكر المفاصد الناجمة عن ذلك .

قال الشيخ عبدالله بن محمد التميمي : « ومن هؤلاء - عباد القبور - من يرجح الحج إلى المقابر على الحج إلى البيت، ومنهم من يرجح الحج إلى البيت، لكن قد يقول أحدهم : إنك إذا زرت قبر الشيخ مرتين أو ثلاثاً كان كحجة . ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات يسافرون إليها وقت الموسم، يعرفون كما يعرف المسلمون بعرفات . ومنهم من يجعل السفر إلى المشهد والقبر الذي يعظمه أفضل من الحج . . . إلى أن قال : وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله رب العالمين، فليسوا على ملة إمام الحنفاء . . . إلى أن قال : وآخرون قد جعلوا الميت : بمنزلة الإله والشيخ الحي كالنبي، فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات، وأما الشيخ الحي فالحلال ما حلّله والحرام ما حرّمه . . . ، وأسهب في بيان ما هم عليه من الكفر والضلال واستحلال الحرام من أكل النذور وما يذبح للقبور . . . »^(٢).

الرابع عشر : النذور للأضرحة وسدنة القبور .

قال تعالى : ﴿ يُؤْفُونَ بِالَّذِيرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۖ ﴾^(٣) ،

(١) إغائة اللهفان، ص ٢١٦، ج ١ .

(٢) رسالة الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٣) سورة الإنسان، الآية ٧ .

وقال تعالى : ﴿ وَلْيُؤْذُواْ ذُرَّهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾^(١).

قال ابن كثير : أي يتعبدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر^(٢)، وقال الشوكاني : والنذر في الشرع ما أوجبه المكلف على نفسه من القرب والعبادات^(٣).

قال ابن تيمية : وفي سنن أبي داود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ثم قال : قال علماؤنا لا يجوز بناء المسجد على القبور، وقالوا : إنه لا يجوز أن ينذر لقبر، ولا للمجاورين عند القبر شيئاً من الأشياء لا من درهم ولا من زيت ولا من شمع ولا من حيوان ولا غير ذلك، كله نذر معصية^(٤).

وقال ابن تيمية أيضاً : ولا يشرع لأحد أن يذبح الأضحية ولا غيرها عند القبور، بل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقر عند القبور . فكيف يتخذ القبر منسكاً يقصد النسك فيه ؟ فإن هذا من التشبه بالمشركين . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن صَلَائِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٥) ﴿٦﴾.

(١) سورة الحج، الآية ٢٩ .

(٢) مختصر ابن كثير، ص ٥٨١، ج ٣ .

(٣) فتح القدير للشوكاني، ص ٣٤٧، ج ٥ .

(٤) مجموع الفتاوى، ص ٧٧، ج ٢٧ .

(٥) سورة الأنعام، الآية ١٦٢ .

(٦) مجموع الفتاوى، ص ٤٩٥، ج ٢٧ .

النذر إلى غير المساجد الثلاثة :

قال ابن تيمية : ولو نذر السفر إلى غير المساجد الثلاثة أو السفر إلى مجرد قبر نبي أو صالح لم يلزمه الوفاء بنذره ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » وقال : « وإنما يجب الوفاء بالنذر ما كان طاعة لله »^(١).

أقول : ولو نذر أن يعتكف في مسجد معين في غير المساجد الثلاثة لم يلزمه الوفاء بالمسجد المعين . وعليه أن يعتكف في أي مسجد كان بدون شد الرحال، ويجزئه ذلك، وهو رأي الجمهور .

الخامس عشر : عبَاد القبور صرفوا حق الله لغيره :

خلاصة الخلاصة فإن عباد القبور صرفوا لغير الله تعالى جميع ما شرعه الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الشعائر والعبادات التي لا يعظم بها إلا الله وحده . فصرفها عبَاد القبور للأضرحة والمشاهد وللسدنة المضللين ولمشايعهم المشركين . فجميع العبادات من دعاء ونذر وذبح واستعانة واستغاثة وركوع وسجود كل ذلك عظموا بها القبور والمشاهد، فشدوا لها الرحال راغبين خاشعين متذللين، فاستغاثوا برفاتها وسجدوا على أعتابها وتمسحوا بأركانها وطافوا بأحجارها؛ راجين

(١) المصدر السابق، ص ٣٣٤، ج ٢٧ .

النفع منها ودفع الضرر، كل هذا فعلوه وهذا حال عبّاد القبور والمشاهد قديماً وحديثاً . قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ ^(١) .

أسباب تعظيم القبور والغلو فيها :

عوامل الافتتان بالقبور والأضرحة كثيرة جداً لا تكاد تحصر منها :

١ - الجهل في الدين وعدم معرفة التوحيد الخالص وجهلهم بمدلول كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » فمضمونها يجهله الكثير من الناس حتى المنتسبون للعلم . فمضمونها : لا معبود بحق في الأرض ولا في السماء إلا الله . ومعظم الناس يفسرونها : بأنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر للكون إلا الله . وهذا تعرفه عرب الجاهلية ويسميه العلماء « توحيد الربوبية » وأما توحيد الألوهية فهو أفراد الله بالعبادة، لا معبود بحق إلا الله .

٢ - الجهل بحقيقة العبادة ومدلولها . فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه مما شرعه الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم كالدعاء والنذر والنحر وقد تقدم ذلك قريباً . فالعبادة تبنى على أصليين اثنين : المتابعة وهي الانقياد للسنة، والثاني : إخلاص العبادة لله وحده .

٣ - تضليل السدنة للعوام والزوار، ويقصّون عليهم أحاديث

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٦ .

زيارة القبور وأحكامها ————— للشيخ : يوسف بن صالح البرقاوي

مكذوبة ملفقة يرفضها كل عاقل، منها : حديث : لو أن أحدكم أحسن الظن بحجر لنفعه . وحديث : إذا أعتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور . وهناك من يروجها ويدعو الناس إليها فيصدقها الطغام والدهماء من الناس . وقد أطال ابن القيم في ذلك^(١) .

٤ - تعلق الناس بالقبور والأضرحة ؛ لاعتقادهم الجازم بأنها تضر وتنفع وتشفع لهم عند الله ؛ ولهذا يفعلون للقبور كل محذور يخالف شرع الله القويم ، ولهذا تسكن قلوبهم عند الأضرحة وتخشع عند القبور وتطمئن نفوسهم عند المقامات والمزارات بجوار الأموات . وهكذا زين لهم الشيطان أعمالهم فأضلهم عن الهدى .

٥ - تقليد العوام لهؤلاء المروجين للباطل وأتباعهم ، على غير هدى من الله ، فصدهم ذلك عن الحق فأعمى أبصارهم . قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(٢) .

٦ - قلة العلماء العاملين في ميدان الدعوة وندرة الدعاة الذين يحملون دعوة التوحيد وتبليغها للناس . وهذا الصنف من الدعاة قليل جداً ، وإن وجدوا يحاربهم دعاة الضلالة ممن يخالفهم . فدعاة الحق وأنصاره قلة . فأقل ما في الأمر أنهم يقيمون الحجة على خلقه بتبليغهم دعوة الحق .

(١) إغاثة اللهفان ، ص ٢٣٣ ، ج ١ راجعه إن شئت .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٣١ .

٧ - ومن أهم العوامل التي تصد دعاة الضلالة بالإضافة إلى جهلهم وعدم قبول الحق هو ما يجمعونه ويأخذونه من الأموال والنذور التي تُهدى للقبور، فجعلهم في سكرة يعمهون وفي ضلالهم يتيهون .

٨ - عدم وجود القوة الرادعة والعقوبة الزاجرة لهؤلاء المخالفين لشرع الله القويم ودينه الحنيف قديماً وحديثاً . فإن قوة السلطان رادعة لأهل الأهواء أتباع الشيطان، فالقوة تقمع الشر والفساد في الأرض . قال الإمام القرطبي : « روى ابن القاسم قال : حدثنا مالك أن عثمان رضي الله عنه كان يقول : إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن »^(١) .

٩ - الانقياد الأعمى للشيطان وأوليائه وأتباع الهوى بدون علم ولا وعي ومن غير هدى ولا بصيرة، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢) .

مقتطفات من أقوال الأئمة الأعلام :

الإقسام على الله بمخلوق :

كأن يقول الداعي : اللهم إني أسألك بحق فلان أو بجاه فلان أن تغفر لي . فما حكم ذلك ؟

(١) تفسير القرطبي، ص ٣٢٥، ج ٦ .

(٢) سورة القصص، الآية ٥٠ .

زيارة القبور وأحكامها ————— للشيخ : يوسف بن صالح البرقاوي

قال أبو العز الحنفي : ولهذا قال أبو حنيفة وصاحبه :
يكره أن يقول الداعي : أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك
أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام ونحو ذلك .

قال : حتى كره أبو حنيفة ومحمد بن الحسن الشيباني أن
يقول الداعي : اللهم إني أسألك بمقعد العز من عرشك . ولم
يكرهه أبو يوسف لما بلغه الأثر فيه . وتارة يقول : أسألك بجاه
فلان عندك أو يقول : أتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك ،
ومرادُه أن فلانا عندك ذو جاه وشرف ومنزلة فأجب دعائي وقال :
وهذا أيضاً محذور فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة
يفعلونه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لفعلوه بعد موته .
وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه ، يطلبون منه أن يدعو لهم ،
وهم يؤمنون على دعائه كما في الاستسقاء وغيره .

استسقاء عمر بالعباس :

قال أبو العز الحنفي : فلما مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما خرجوا يستسقون :
اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل
إليك بعم نبينا . معناه بدعائه هو ربه وشفاعته وسؤاله . وليس
المراد أن نقسم به أو نسألك بجاهه عندك : إذ لو كان ذلك
المراد لكان جاه النبي ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس^(١) ، وذكر

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

أبو العز الحنفي بيتين من الشعر :
ما للعباد عليه حق واجب
كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله أو نعموا
فبفضله وهو الكريم السامع^(١)

كلام الإمام الصنعاني في النذور والذبح للقبور :

قال الإمام الصنعاني : وأما النذور المعروفة في هذه الأزمنة على القبور والمشاهد والأموات فلا كلام في تحريمها؛ لأن الناذر يعتقد في صاحب القبر أنه ينفع ويضر ويجلب الخير ويدفع الشر ويعافي المتألم ويشفي السقيم، وهذا هو الذي كان يفعله عبادة الأوثان بعينه فيحرم، كما يحرم النذر على الوثن ويحرم قبضه؛ لأنه تقرير للشرك، ويجب النهي عنه، وإبانة أنه من أعظم المحرمات، وأنه هو الذي كان يفعله عباد الأصنام، لكن طال الأمد حتى صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً . وصارت تُعقد اللوات لقباؤ النذور على الأموات، ويجعل للقادمين إلى محل الميت الضيافات، وينحر في بابه النحائر من بهيمة الأنعام، وهذا هو بعينه الذي كان عليه عباد الأصنام . فإننا لله وإنا إليه راجعون . وقال : وقد أشبعنا الكلام في هذا في رسالة « تطهير الاعتقاد عن درن الإلحاد »^(٢) .

(١) المصدر السابق، ص ١٩٩ .

(٢) سبل السلام، ص ١١١، ج ٤ .

كلام العلامة السهواني الهندي :

قال العلامة السهواني الهندي : وكذلك النحر للأموات عبادة لهم، والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم، والتعظيم عبادة لهم، كما أن النحر للنسك وإخراج صدقة المال والخضوع والاستكانة عبادة لله عز وجل بلا خلاف، ومن زعم أن هناك فرقاً بين الأمرين فليهدد لنا .

ثم قال : ومن قال : إنه لم يقصد بدعاء الأموات والنحر لهم والنذر لهم عبادتهم . فقل له : فلأني مقتضى صنعت هذا الصنيع ؟ فإن دعائك للميت عند نزول أمر بك لا يكون إلا لشيء في قلبك عبّر عنه لسانك . فإن كنت تهذي بذكر الأموات عند عروض الحاجات من غير اعتقاد منك لهم فأنت مصاب بعقلك . وهكذا إن كنت تنحر لله وتنذر لله فلأني معنى جعلت ذلك للميت وحملته إلى قبره ؟ فإن الفقراء على ظهر البسيطة في كل بقعة من بقاع الأرض . وفعلك وأنت عاقل لا يكون إلا لمقصدٍ قد قصدته، أو أمرٍ قد أردته، وإلا فأنت مجنون قد رفع عنك القلم^(١) .

كلام الإمام الشوكاني :

قال الإمام الشوكاني : « وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، منها : اعتقاد

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، ص ١٦٢ .

الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج، وملجأً لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، وتمسّحوا بها واستغاثوا، وبالجمله إنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإننا لله وإنا إليه راجعون . ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار - ما لا يشك فيه - بأن كثيراً من هؤلاء القبوريين، أو أكثرهم، إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك : احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني، تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق . وهذا من أبين الأدلة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال : إنه تعالى ثالث ثلاثة . فيا علماء الدين، ويا ملوك المسلمين، أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً^(١).

ثم قال الشوكاني هذين البيتين من الشعر :

لقد أسمعت لو ناديت حيّاً

ولكن لا حياة لمن تنادي

(١) نيل الأوطار، ص ٨٣، ٨٤، ج ٤ .

ولو ناراً نفخت بها أضواء
ولكن أنت تنفخ في رماد

أقول : هذا حال المسلمين قبل مائتي عام كما وصف الشوكاني، فكيف حال المسلمين اليوم ؟ فهم لا يحسدون على ما هم عليه، وخصوصاً بعد أن غزت المبادئ الإلحادية، والنظم المستوردة بلاد المسلمين : كالشيوعية، والبعثية، والعلمانية، والديمقراطية، والاشتراكية، والتي أصبحت تحكم الكثير من بلاد المسلمين، فافتتن شباب المسلمين، وهذا هو الواقع الذي لا نحمد عليه . وكانت وفاة الشوكاني بصنعاء اليمن في جمادى الآخرة سنة ١٢٥٠ هـ فرحمه الله رحمة واسعة^(١).

كلام الإمام النووي :

قال الإمام النووي : وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى، كمن ذبح لصنم أو للصليب أو لموسى أو لعيسى أو للكعبة ونحو ذلك . فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً، نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا . فإن قصد بذلك تعظيم المذبح له - غير الله تعالى - والعبادة له كان ذلك كفراً . فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً . ثم قال : وذكر الشيخ إبراهيم المروزي من أصحابنا : أن ما ذبح عند استقبال السلطان

(١) رسالة شرح الصدور بتحريم رفع القبور، مقدمة الرسالة، ص هـ تاريخ وفاته .

تقرباً إليه، أفتى أهل بخارة بتحريمه؛ لأنه مما أهل به لغير الله تعالى^(١).

كلام العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز :

قال العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز : وهذا الحديث الصحيح وما جاء في معناه يدل على تحريم تجصيص القبور والبناء عليها؛ لأن ذلك من تعظيمها، وهو من وسائل الشرك، كما وقع ذلك في كثير من الأمصار .

فالواجب على أهل العلم وعلى جميع المسلمين إنكاره والتحذير منه . وإذا كان البناء على القبر مسجداً صارت المعصية أعظم، والوسيلة به إلى الشرك أظهر؛ ولهذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه لعن من اتخذ القبور مساجد، وقال عليه الصلاة والسلام : « ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك »^(٢).

سدنة الأضرحة يلهثون وراء مصالحهم :

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز : « ظن المشركون بأوليائهم أنها تسمع الدعاء وتجب، فإنهم ليس لهم علم بذلك لا من طريق حواسهم ولا من خبر صادق؛ وإنما هو مما يشيعه السدنة ترويجاً لتجارتهن الخاسرة . ويزيد الجاهلين تعلقاً بأوليائهم من

(١) صحيح مسلم شرح الإمام النووي، ص ١٤١، ج ١٣ .

(٢) فتح الباري، ص ٢٢٥، ج ٣ هامش .

دون الله، فهم يعظمون أولئك الموتى؛ لهوى أنفسهم، وقضاء وطهرهم، لا حباً في الإيمان والمؤمنين؛ ولذلك تراهم ينتقلون من ميت لآخر إذا لم يجدوا حاجتهم قضيت عند الأول. وهكذا نرى السدنة إذا انتقلوا من وظيفة عند هذا الولي الذي كان في نظرهم كبيراً، أصبح الولي الذي انتقلوا عند قبره أعظم بركة وأكثر كرامات. فهؤلاء جميعاً لا يتبعون إلا هوى أنفسهم، وهم كاذبون أعظم الكذب في دعواهم حب الأولياء والصالحين»^(١).

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز عند شرح الحديث : « وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها : ذات أنواط » قال رحمه الله : « كما يعكف اليوم عباد القبور عندها ويجاورون، معتقدين أن لهم بذلك الزلفى والقربى، ويعتقد الجاهلون لهم ذلك، فيعاونونهم بالنذور لتلك القبور والصدقات؛ قرابة لأولئك الموتى، وكل ذلك من الشرك الأكبر » اهـ^(٢).

زيارة القبور للنساء :

قال ابن تيمية : « صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال : « لعن الله زوارات القبور » رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد

(١) فتح المجيد، ص ١٤١ هامش .

(٢) فتح المجيد، ص ١٤٢ .

والسرج» رواه أهل السنن الأربعة وأخرجه أبو حاتم في صحيحه .
وقال ابن تيمية : « وعلى هذا العمل في أظهر قولي أهل العلم » وهو المنع من زيارتهن .

القول الثاني : السماح للنساء بزيارة القبور؛ للحديث : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزورها، فإنها ترقق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرا » رواه أحمد والحاكم .

فأجاب ابن تيمية فقال : فإن قيل : فالنهي عن ذلك منسوخ كما قال أهل القول الآخر - يعني بالجواز - قيل : هذا ليس بجيد؛ لأن قوله : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزورها » هذا خطاب للرجال دون النساء، فإن اللفظ لفظ مذكر وهو مختص بالذكر . وقال : وقوله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله زوارات القبور » خاص بالنساء دون الرجال، ألا تراه يقول : « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » سواء كانوا رجالاً أو نساءً لعنهم الله . وأما الذين يزورون القبور فإنما لعن النساء الزوارات دون الرجال^(١) .

أقول : ولا شك أن هذا تخريج جيد من شيخ الإسلام ابن تيمية، فالنسخ لم يشمل النساء .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ص ٣٦٠، ٣٦١، ج ٢٤ .

قال ابن قدامة : اختلفت الرواية عن أحمد في زيارة النساء القبور فروي عنه كراهتها؛ لما روت أم عطية، قالت : « نهينا عن زيارة القبور ولم يعزم علينا » رواه مسلم . ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله زوارات القبور » وقال : هذا خاص في النساء، والنهي المنسوخ كان عاماً للرجال والنساء، ويحتمل أنه كان خاصاً للرجال، فأقل أحواله الكراهة .

ثم قال ابن قدامة : ولأن المرأة قليلة الصبر، كثيرة الجزع، وفي زيارتها للقبر تهيج لحزنها، وتجديد لذكر مصابها، ولا يؤمن أن يفضي بها ذلك إلى فعل ما لا يجوز، بخلاف الرجل^(١) .

المرأة ضعيفة تغلب عليها العاطفة :

ما أشار إليه ابن قدامة فهو عين الصواب، فالمرأة تغلب عليها العاطفة، فلا تصبر عند المصيبة، فيعترئها الجزع والهلع؛ لضعفها، فإذا ما وقفت على قبر المزار غالباً، تسخطت على أقدار الله بدون وعي، ومن غير مبالاة، وهذا هو الغالب في النساء، ولربما تكلمت بكلمة تَسْخُطُ أو اعتراض على أقدار الله، فيكون في ذلك هلاكها، كما جاء في الحديث الصحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : « وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم » رواه البخاري^(٢) .

(١) المغني لابن قدامة، ص ٤٢٤، ٤٢٥، ج ٢ .

(٢) رياض الصالحين، رقم (١٥١٣) .

فالشرع القويم لما منع المرأة من زيارة القبور كان ذلك رحمة بها، وحفظاً لها، وسداً للذريعة المفضية إلى الهلاك .

والقرآن الكريم أشار إلى أن المرأة لا تملك نفسها غالباً في المستجدات بالنسبة لها، أو عند المصيبة، فقد قص علينا خبر «سارة» أم إسحاق لما بشر نبي الله إبراهيم عليه السلام : بإسحاق، قال تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرْفٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ٢٩ ﴾ ^(١)، قال القرطبي في تفسيره : أقبلت في صيحة وضجة، وقال ابن عباس : صكت وجهها لطمته . ولا شك أن هذا حال النساء عند المصيبة، فهي تمرط شعر رأسها أو تشق ثيابها أو تلطم وجهها مع صياحها وعويلها، وهذا نقص في النساء .

وبالمقابل موقف إبراهيم عليه السلام، لما بشرته الملائكة بإسحاق، قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ٣٩ ﴾ ^(٢) .

فالفارق كبير بين عقلية الرجال وعقلية النساء؛ ولهذا جعل الله شهادة المرأتين بشهادة رجل واحد، وأيضاً لا تقبل شهادة المرأة في الحدود والقصاص والجنايات، وفي الزواج والطلاق .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر، فقال : اتقي الله واصبري .

(١) سورة الذاريات، الآية ٢٩ .

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٣٩ .

فقلت : إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتني - ولم تعرفه - فقليل لها : إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم تجد عنده بوابين ، فقلت : لم أعرفك . فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى « متفق عليه ^(١) .

رأي الإمام القرطبي في زيارة المرأة للقبور :

قال ابن حجر : قال القرطبي : « قوله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله زوارات القبور » هذا اللعن بالمكثرات من الزيارة لما تقضيه الصفة من المبالغة ، ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ منهن من الصياح ونحو ذلك ، فقد يقال : إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن ؛ لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء ^(٢) .

أقول : ما ذكره القرطبي فيه نظر فليس النهي لئلا تضيع المرأة حق الزوج ، فالأمر أهم من ذلك ؛ لما يترتب على زيارة القبور للنساء من مفسد لا حصر لها .

فإن الأدلة الشرعية على منع النساء من زيارة القبور كافية ؛ للاستدلال بها على الحرمة ، وقد صرح بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وأشار ، وكذلك ابن قدامة على الكراهة ، والكراهة إذا أطلقت تفيد كراهة تحريم ، وخصوصاً النهي بصيغة اللعن ، وهذا

(١) رياض الصالحين ، رقم (٣١) .

(٢) فتح الباري ، ص ١٤٩ ، ج ٣ .

وعيد شديد لمن خالف النهي .

وأما قوله : النهي للمكثرات من زيارة القبور لصيغة المبالغة في النهي . فقوله هذا مرجوح ؛ لأنه تخصيص بدون مخصص ، فالخطاب عام وصيغة المبالغة لتأكيد الحرمة . ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَرْبَابًا ضَعُفًا مُّضْعَفَةً وَتَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) فالآية المذكورة ليس لها مفهوم مخالفة ، بحيث تبيح قليل الربا وتحرم كثيره ، هذا لم يقل به عالم . فالآية أشارت إلى ما كانت عليه الجاهلية ؛ كان الغريم وهو الدائن إذا جاء وقت سداد الدين قال للمدين : « إما أن تقضي وإما أن تربى » فإذا عجز عن السداد تضاعفت عليه الفائدة الربوية حتى تصبح أضعافاً مضاعفة . فالربا كثيره وقليله حرام بإجماع علماء الإسلام .

وكذلك الحال في زيارة القبور للنساء ، فالحديث ما حرّم زيارة القبور على المكثرات من الزيارة وأباح لغير المكثرات كما قاله القرطبي . فالحديث عام ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله زوارات القبور » فالحديث شمل الجميع المكثرات وغير المكثرات وهذا هو الحق إن شاء الله . ومنعهن رحمة بهن .

مدح العلماء وذم عبّاد القبور :

وللإمام الصنعاني قصيدة في مدح الشيخ محمد عبد الوهاب إمام الدعوة السلفية وذم عبّاد القبور . وهذه مقتطفات منها ، قال

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٣٠ .

الصنعاني في ديوانه المشهور : (١)

سلامي على نجدٍ ومن حلّ في نجد
وإن كان تسليمي على البُعد لا يجُدي
لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا
رُبّاهَا وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسير يُنشد الريح إن سرت
ألا يا صبا نجدٍ متى هجتِ من نجد
يذكرني مسراك نجداً وأهله
لقد زادني مسراك وجداً على وجد
قفي واسألني عن عالم حل سوحها
به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد
فيا حبذا الهادي ويا حبذا المَهدي
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه
يُعيد لنا الشرع الشريف بما يُبدي
وينشر جهراً ما طوى كلُّ جاهل
ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادماً
مشاهدَ ضلّ الناسُ فيها عن الرشدِ

أَعَادُوا بِهَا مَعْنَى سُوَاعٍ وَمِثْلُهُ
يَعُوقُ وَوَدَّ بئس ذلك من وَدَّ

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها
كما يهتف المضطر بالواحد الفرد

وكم عقروا في سُوحِهَا من عقيرة
أَهْلَتْ لغير الله جهراً على عَمْدٍ

وكم طائفٍ حول القبور مُقْبِلٍ
ومستلم الأركان منهمَّ بالأيدي

وَأَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَرُدَّ الْمُسْلِمِينَ إِلَى دِينِهِمْ، وَأَنْ يَثْبِتَنَا
عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ، فَهُوَ نَعَمُ الْمَوْلَى وَنَعَمُ النَّصِيرِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .